

## حزب الله في مرحلة انتقالية

2

إعداد وترجمة: ليلي زيدان عبد الخالق

ننشر اليوم، الحلقة الثانية من التقرير الذي صدر عمّا يسمّى مركز «برنت سكروفت للامن القومي» في المجلس الأطلسي، وكتبه كل من دانيال بايمان<sup>(1)</sup> وبلال صعب<sup>(2)</sup>، وفيه يرسم الكاتبان سيناريو. وربما أكثر. لمستقبل حزب الله، خصوصاً بعد مشاركته في الحرب ضدّ الإرهاب، جنباً إلى جنب مع الدولة السورية، أو ما اصطلح على تسميته «النظام السوري».

وفي هذا الجزء الثاني والأخير من التقرير، يستمرّ الكاتبان في صوغ تخيّلتهما المبنية على ما اشتغلت «المطابخ الاستخباراتية السوداء» على ترسيخه في العقول، لا على حقائق وثوابت يمكن أن تستقيها من الواقع مباشرة عبر التحقيقات الميدانية. وإنّ لا يتوانى الكاتبان عن الاستنتاج في هذا الجزء أيضاً أنّ حزب الله قد يشارك في الحرب ضدّ الجماعات المتطرّفة، لا سيما «داعش» في العراق، فإنّهما يستنتجان الآثار المترتبة على لبنان من جرّاء هذه مشاركة الحزب في الحرب ضدّ الجماعات المتطرّفة في سورية، كما يرمّان على الآثار التي يمكن أن تلحق بـ«إسرائيل» وأميركا. إلا أنّ الكاتبين ينصفان الحزب قليلاً حين قالوا: «أثبت هذا الحزب نفسه كأفضل قوة عسكرية مسلحة في الشرق الأوسط وبين جيوش الدول العربية. قتلت قوات حزب الله «إسرائيل» منذ عام 1985 حتى عام 2000، في المنطقة الآمنية على طول الحدود مع «إسرائيل»، هذا الاشتباك الثابت والمستمرّ أدى إلى انسحاب «إسرائيل»، وتسجيل أول انتصار لجيوش عربية على الجيش «الإسرائيلي». فحزب الله صوّب نيران صواريخه نحو الداخل «الإسرائيلي»، ما أثار قلق القادة «الإسرائيليين» وإهتمامهم. عام 2006 خاض حزب الله حرباً ضروساً مع «إسرائيل» لمدة 33 يوماً، أسفرت عن مقتل أكثر من مئة وستين قتيلًا، فضلاً عن خسارات كبرى وإصابات حساسة في قلب الدولة اليهودية. أظهر حزب الله قوته العسكرية خلال هذه الحرب، فنصب الكمان للقاتل «الإسرائيلية» المدرّعة، تمخّض في التوغّل البرّي، ونجح في مواجهة الغارات الجوية «الإسرائيلية» بغاراته الكثيرة».



الجوية تمنحها القليل من الراحة. فالحزب مع «إسرائيل» أمّة منذ العام 2006، والنزيف الدموي السوري يبقى حزب الله في حال من اليقظة الدائمة.

### ...وعلى «إسرائيل» والولايات المتحدة

تحاول «إسرائيل» من جانبها السير على خط دقيق. فهي تريد من ناحية منع تدفق الإمداد العسكري السوري والإيراني إلى حزب الله، وتحديدًا بعض الأنظمة الصاروخية مثل أرض جو، وصواريخ «كروز» المضادة للسفن، أو حتى الأسلحة الكيماوية التي لا بد أن يكون لها أثرها. وتزيد من وتيرة التهديد لأنّها، في عمدة إلى استفزاز حزب الله أحياناً بمهاجمة معاداة نقل الأسلحة ورغبة منها بإشغال جبهة الجولان مستخدمة الأراضي السورية كقاعدة للقتال. ومن ناحية أخرى، لا يبدو أنّ شهية «إسرائيل» مفتوحة للقتال على الحدود مع حزب الله، فأشغال هذه الجبهة، أو حتى إجهاد حزب الله من موقعه السياسي الحالي على شأن حرب جديدة ضدها، سيكون كمن يلقي نفسه في النار، أو كمن يغرق قواته في مستنقعات لا يريد الانجرار إليها.

ومع ذلك، فقد بنفجر الصراع في أيّ لحظة: فقلّة هم الذين تنبأوا بحرب عام 2006. فقد بتصاعد الموقف إذا ما استمرّت «إسرائيل» في التعرّض لشاحنات الأسلحة التابعة لحزب الله. فقد لا تطابق حسابات «إسرائيل» بديرها حين انتباهها مثل هذه الخطوة التصعيدية، بينما قد يرى حزب الله أنّ ردّ فعل معيناً منه، لن يستوجب إعادة تظهير فيلم عام 2006. والكثير من هذا يعتمد على موقف السياسة المحلية لكلا الطرفين، اللذين أظهرتا استعدادهما لفهم سياسة الآخر. فهل هناك استعداد لضربة عسكرية «إسرائيلية» على منشآت إيران النووية، أم أنّ إيران ستتورط - من ناحية أخرى - بصراع يشب بين «إسرائيل» وحزب الله؟ على الحزب أن يكون مستعداً لكل هذه السيناريوهات المحتملة.

ما من نهاية قريبة متوقعة لأفق الصراع في سورية، فالطائفية المتنامية بشدّة وخطورة العنف في لبنان تضعان الجهاديين السوريين - لا أميركا أو «إسرائيل» في دائرة «رادار» حزب الله، وذلك بغض النظر عن لهجته الخطابية. فالاستنزاف العسكري الكامن في إبقاء الآلاف من المقاتلين على خطوط النار القتالية أحد أهم أولويات الحزب، الذي سيُطرأ عليه أنه اللاعب الأكثر تطرّفًا وطائفية في لبنان. وعليه حينذاك، الاعتماد أكثر على الصواريخ وعلى الأنشطة شبه العسكرية في معرض الردود غير المتكافئة.

يوفر حزب الله من ناحية أخرى قدراته وطاقاته القتالية لمواجهة الإرهاب العالمي. فهو سبق أن قام بمثل هذه التكتيكات في ما مضى كردود فعل عما يمكن أن يحصل في حال هاجمته

المليشيات والمتطرّفين يزدادون قوة وشعبية. فهناك واقع مخيف في لبنان يتظاهر في تواجد مليون ومئتي ألف لاجئ سوري أي ما يقارب ثلث سكان البلد، حيث من المحتمل أن تصبح مخيماتهم «مصنعا» لآلاف المقاتلين في سورية. ومن المحتمل أيضاً أنّ يتحوّلوا مع مرور الوقت إلى قوة فاعلة على الساحة السياسية اللبنانية، أسوة بالفلسطينيين من قبلهم. يشكل هذا الاحتمال قلقاً حقيقياً لحزب الله حيث أنّ غالبية اللاجئين هم من المسلمين السنة ممن يعتبرهم الحزب أصدقاء عدوّه.

يبدو أنّ حزب الله قد ملّ هذه الحرب تحالف 14 آذار (وهي مجموعة من المناهضين لسورية في لبنان) أو غيره من القوى الموالية للغرب، من المتاعب التي يمز بها حزب الله. فهم مفسومون على أنفسهم، واثبتوا أنّهم عاجزون عن استقطاب التأييد الشعبي اللازم، بينما تلاحظ ان قادة

والسيطرة. وما دخوله الحرب السورية الأردّ الجميل على هذه الخدمات الكثيرة السابقة - ما وطد علاقة حزب الله بإيران أكثر فأكثر. وأخيراً، فإن حزب الله يؤمن أيضاً بأهمية دوره العسكري في لبنان، إذ تقوم قواته على طول الحدود بدوريات مستمرة، وتزرع الألغام منعا لتسلل المقاتلين المعارضين، فضلاً عن تنسيق قيادة الحزب بجهود وسلاسة مع قوات الجيش اللبناني، الذي لا يجرؤ على مواجهة الجماعة الشيعية.

### الآثار المترتبة على لبنان

من غير المرجح أن تستفيد قوى تحالف 14 آذار (وهي مجموعة من المناهضين لسورية في لبنان) أو غيره من القوى الموالية للغرب، من المتاعب التي يمز بها حزب الله. فهم مفسومون على أنفسهم، واثبتوا أنّهم عاجزون عن استقطاب التأييد الشعبي اللازم، بينما تلاحظ ان قادة

كتب دانيال بايمان وبلال صعب: ما يحدّد مستقبل حزب الله، كيفية استجابة النظام الإيراني للتهديدات إيران تعليماتها لحزب الله بضرورة إكمال صراعه في سورية في محاولة للحفاظ على طرق الإمدادات وخلق حلفاء جدد. ومن جهته فقد يفرض حزب الله أنه قادر على لعب دور إقليمي أكبر لخدمة المصالح الإيرانية، وللتعويض عن خسارة سورية (فالعراق هدف محتمل لتحرّكات حزب الله المقبلة نظراً إلى الروابط العميقة القائمة منذ فترة مع الجماعات الشيعية هناك ولأهمية المصالح الإيرانية القوية في العراق). لكن كل هذا قد يساهم في إضعاف حزب الله في موطنه، فحينئذ لن يكون كافياً لحزب الله أن يحمي نفسه من هجمات أكثر عدائية في البيئة السورية، بل عليه اتخاذ الحيلة والحذر من السياسيين المحليين الإنتهازيين الذين قد يستغلوا ضعفه النسبي، وبينما تستفيد إيران كثيراً من خدمات حزب الله، بما فيها ولاءه الإيديولوجي والثوري لها، وعمله على منع إسقاط القوى الشيعية في البلدان العربية، تبقى القيمة الأبرز لمصلحة حزب الله مع إيران، استفادته من ترسانتها العسكرية، الأمر الذي تستعمله «إسرائيل» في الترويج لحربها المحتملة ضدّ إيران.

### تطور القدرة العسكرية والاستراتيجية

صنع حزب الله الحرب كما صنعتها هي، في صراع يعد صراعاً، أثبت هذا الحزب نفسه كأفضل قوة عسكرية مسلحة في الشرق الأوسط وبين جيوش الدول العربية. قتلت قوات حزب الله «إسرائيل» منذ عام 1985 حتى عام 2000، في المنطقة الآمنية على طول الحدود مع «إسرائيل»، هذا الاشتباك الثابت والمستمرّ أدى إلى انسحاب «إسرائيل»، وتسجيل أول انتصار لجيوش عربية على الجيش «الإسرائيلي». فحزب الله صوّب نيران صواريخه نحو الداخل «الإسرائيلي»، ما أثار قلق القادة «الإسرائيليين» وإهتمامهم. عام 2006 خاض حزب الله حرباً ضروساً مع «إسرائيل» لمدة 33 يوماً، أسفرت عن مقتل أكثر من مئة وستين قتيلًا، فضلاً عن خسارات كبرى وإصابات حساسة في قلب الدولة اليهودية. أظهر حزب الله قوته العسكرية خلال هذه الحرب، فنصب الكمان للقاتل «الإسرائيلية» المدرّعة، تمخّض في التوغّل البرّي، ونجح في مواجهة الغارات الجوية «الإسرائيلية» بغاراته الكثيرة. وكان أحد الضباط «الإسرائيليين» قد صرّح أنّ قوات حزب الله هي «جيش إسرائيلي» مصغر.

ويعتقدون بالكفاءة التي لديها. ازدادت شعبية قائدهم حسن نصر الله ليصبح بعد فترة وجيزة الشخصية الأكثر إثارة للإعجاب في العالم العربي. ومنذ عام 2006 وحتى انفجار



1 - دانيال بايمان، أستاذ في برنامج الدراسات الأمنية في جامعة «جورج تاون» ومدير الأبحاث في مركز سياسة الشرق الأوسط في معهد «بروكينغز».

2 - بلال صعب، زميل مساعد لامن الشرق الأوسط في مركز «سكروفت برنت للامن الدولي» في المجلس الأطلسي.